مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧٥/٦/١١

فتـــح القنـــاة

فتحت قناة السويس للملاحة الدولية من جديد . وذلك بعد ثماني سنوات من اغلاقها في يونيو ١٩٦٧ ، وبعد عشرين شهرا من اكتوبر ١٩٧٣

ايا كانت المواقف التي تتخذها قوى المنطقة والصراع — ذات المنابع المتعددة اجتماعيا وسياسيا — مسار واتجاهات حركة الاحداث الجارية اليوم ، فان احدا لا يستطيع — وهو يعيد تقييم حساباته — أن يتجاهل « الواقع الجديد » الذي فرضه فتح القناة على خريطة المنطقة والصراع ..

ليس الجديد — فقط — في ان « حربا هجومية » اغلقت القناة ، وان « حربا دفاعية » فتحت القناة . الجديد ابعد من ذلك اثرا وعمقا .

لعل ابرز هذه الاثار — ونحن هنا نشخص ماهو كائن وملموس — يكمن في معدين :

● **البعد الاول** : يعني أنه في ميزان علاقات القوى الراهنة في المنطقة والصراع ترجح بشكل واضح كفة القوى التي يمثلها الرئيس السادات — سواء على مستوى المعركة السياسية في العالم العربي أو على مستوى المعركة الدبلوماسية مع اسرائيل — كفة القوى الاخرى .

والمدرسة الســـادانية — اذا جاز التعبير — أصبحت تملك اكبر قدرة متاحة على المناورة والمبادرة والفعل . وذلك بالقياس الى مختلف القوى الاخرى المعارضة . التي وان اتفقت على الهدف الاستراتيجي ، الا انها ذات تكتيكات متضاربة ومتنابذة في ميدان الواقع . ولم تستطع ان تترجم — بعد — «رفضها» الى افعال ومبادرات حية .

في حين انطلق الرئيس السادات في حركة دائبة منذ قرار حرب اكتوبر في ١٩٧٣ من قبول وقف اطلاق النار بعد ثلاثة اسابيع من القتال عندما اصطدم — على حد تعبيره — بالولايات المتحدة في الميدان ، الى مفاوضات الكيلو ١٠١

الى جلسات مؤتمر جنيف الاولى ، الى مهمة كيسنجر الاولى الناجحة ، الى تخطي سقوط نيكسون في هوة ووترجيت بمهمة ثانية لكيسنجر لم يتحقق لها النجاح ، الى لقاء سالزبورج مع الرئيس فورد ، الى فتح قناة السويس في ٥ يونيو ١٩٧٥ في مواجهة هذه الحركة السادانية ، لايكاد المراقب يلمس حركة عربية مقابلة او بديلة ذات وزن ، اللهم الاتصاعد عمليات الثورة الفلسطينية في الارض المحتلة . وهو تصاعد يدفع له الوجود الفلسطيني في لبنان — مع الشعب اللبناني — ثمنا باهظا يستنزف كل القوى الوطنية ، على هذه الجبهة الساخنة التي تضاعفت اهميتها في الفترة الاخيرة وذلك دون مانجدة رادعة وحاسمة .

التزيف مستمر والكل يتفرج

على صعيد المعركة الدبلوماسية مع اسرائيل . نجحت المدرسة السادانية في أن تؤزم علاقات اسرائيل التقليدية مع الغرب عامة ومع الادارة الحاكمة بالبيت الابيض ووزارة الخارجية في الولايات المتحدة بصفة خاصة وذلك على نحو غير مسبوق في المنطقة . وذلك بتقديم «بديل عربي» لاسرائيل ، قادر ومؤهل على حماية المصالح الغربية في المنطقة من خلال اسلوب المشاركة في الطاقة ورأس المال والتكنولوجيا . وهو وضع دفع باسرائيل الى مأزق لم تألف في تاريخها من قبل وحولها — دبلوماسيا — الى موقف الدفاع بعد ان كانت باستمرار في موقف الهجوم . الامر الذي زاد من درجة الضغط عليها من جانب حلفائها لتقديم تنازلات تكتيكية للعرب وخاصة على الجبهة المصرية .

ويستند السادات في بلورة قوته المتحركة الى عدة عوامل ، لها ثقلها في المنطقة والصراع .

■ **العامل الاول** : يتمثل في الوزن المصري ، عسكريا واقتصاديا وبشريا ، والذي بدونه لايتصور امكانية تحرك عسكري ضد الاحتلال الاسرائيلي . ويدخل في حسابات هذا العمل أيضا ، دور مصر في حرب اكتوبر ودور السادات — شخصيا — في اتخاذ أول قرار لحرب هجومية في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي بعد ١٩٤٨ .

■ **العامل الثاني** : يتركز في حصوله على مساندة كاملة من دول البترول الكبرى في المنطقة وبالذات السعودية وايران وبلاد الخليج . وبالتالي توظيف «الطاقة» في خدمة حركته ومبادراته السياسية . وذلك على اساس احترام نظمها الاجتماعية والسياسية وعدم التدخل في شئونها .

■ **العامل الثالث** : هو تمكنه في الاونة الاخيرة من تحييد الدول العربية ذات الاتجاه السياسي الرافض وبالذات العراق والجزائر . أو على الاقل التزامها بعدم عرقلة حركته في العمل ، لمرحلة زمنية كافية ، يمكن بعدها الحكم على النتائج وتقييمها سلبا أو ايجابا .

■ **العامل الرابع** : يتجسد في فتح ابواب عربية اوسع واكثر امنا للولايات المتحدة الى المنطقة ، وذلك بالقياس الى الباب الاسرائيلي الضيق والمحفوف بالمخاطر ، خاصة بعد حرب اكتوبر وآثارها العسكرية والبترولية .

□ ● □

هكذا نقرأ ملامح البعد الاول لفتح قناة السويس . وكان الرئيس السادات قد لخص هذا البعد ، فى ختام جولته العربية الاخيرة التى سبقت لقاءه بالرئيس الامريكى فى النمسا حينما اكد على انه يذهب الى سالزبورج « للتباحث مع فورد باسم الغالبية العظمى من الملوك والرؤساء العرب قبل فتح القناة » .

● **اما البعد الثانى** لفتح قناة السويس فانه يكشف جلاء عن مضمون وحدود حركة الرئيس السادات ومبادراته الجديدة فى تاريخ المنطقة والصراع معا . والتى تشكل فى الواقع منهجا سياسيا جديدا .

كيف ؟

ينطلق الرئيس السادات ، بوضوح ، من مفهوم اساسى . هو ان الصراع العربى الاسرائيلى ، صراع اجيال . .. وليس فى مقدور جيل واحد — وخاصة بعد العديد من التجارب — ان يتحمل بمفرده مهام كل الاجيال . ومن هنا فلابد من ان يتحدد لكل جيل مهام واهداف معينة ، فى هذا الصراع ، عليه ان ينجزها دون ان يطالب باكثر من ذلك لانه فوق طاقته واحتماله . وان على العرب — فى هذا المجال — ان يتعلموا من المخطط الصهيونى الذى اعتمد اسلوب الاجيال المتتابعة منذ مؤتمر بال فى سويسرا فى ١٨٩٧ والهجرات المتلاحقة الى فلسطين ووعد بلفور باقامة وطن قومى حتى اقامة اسرائيل فى ١٩٤٨ ، ثم توسعاتها المتوالية بعد ذلك .

وفى اطار الواقع الراهن وظروفه المميزة ، فان مهام الجيل العربى المعاصر — فى مفهوم الرئيس السادات — تنحصر بدقة فى ازالة آثار عدوان سنة ١٩٦٧ ، بتحرير الارض العربية المحتلة ، وفى الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى من خلال اقامته لدولته الوطنية فى غزة والضفة الغربية .

ما يزيد من هذه المهام ، بقى خارج اطار مسئولية جيل حرب أكتوبر ، وتتحمل عبئه الاجيال القادمة .

وتحقيق مهام هذا الجيل ، يعنى بلا غموض فى منهاج السادات ، ان اسرائيل تظل قائمة فى حدود ما قبل الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ . وهذه حقيقة لا مفر أمام الجيل المعاصر من ترويض نفسه على الاعتراف بها . ولكن بصورة لا تصادر حق الاجيال القادمة فى الصراع أو تستلب مهامها .

ومن هنا ، فان مدرسة السادات السياسية ترى ان يكون الاعتراف ، اذا ما تم انجاز مهام الجيل المعاصر ، سياسيا ، فى حدود خطوط ثلاثة :

● **أولا** : انهاء حالة الحرب مع اسرائيل فى هذا الجيل .

● **ثانيا** : الاعتراف باسرائيل كأمر واقع .

● **ثالثا** : عدم تبادل التمثيل الدبلوماسى أو التجارى مع اسرائيل ، باعتبار ان هذا خارج اطار مهام الجيل الراهن ، ومتروك أمر تقريره الى الاجيال القادمة .

ويمضى الرئيس السادات فى حركته ومبادراته السياسية ، من اعتقاد راسخ بأنه ، فى عصر الانفراج الدولى ، أصبح من الضرورى الانتقال من حالة الاستقطاب التى بلورت صداقة عربية — سوفيتية فى مواجهة حادة مع تحالف اسرائيلى — أمريكى ، الى حالة توازن

فى العلاقات مع كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية .

وفى تقديره ان هذا التوازن ، من شأنه ان يؤدى — من خلال مبادرات متوالية — الى فك الارتباط التاريخى والمصلحى بين اسرائيل وأمريكا ، وان الظروف الدولية عامة ، وظروف المنطقة بعد حرب أكتوبر خاصة ، باتت ناضجة لاحداث ذلك . فهناك أزمة الطاقة التى تتفاقم ويمتلك العرب مع ايران ، أهم مفاتيحها الراهنة . وهناك الخروج الامريكى من فيتنام وكمبوديا والشرق الاقصى ، الذى لابد وان يعوض بنوع من الامان للوجود والمصالح الامريكية فى الشرق الاوسط ، والا اختلت موازين القوى بين السوفيت والامريكيين ، لصالح الاولين بدرجة خطيرة .

وهذا يستلزم — بالضروره — نسج علاقات من نوع جديد مع الولايات المتحدة وخاصة قيادتها التنفيذية وقواها المالية والبترولية ، ترسب اقتناعا متزايدا لدى جماعات الضغط السياسية بالمجتمع ، بأن الحصان الامريكى اذا كان قد خسر فى الشرق الاقصى ، فان أمامه فرصة لا تعوض للكسب فى الشرق الاوسط اذا تخفف ، الى حد معقول ، من الثقل الاسرائيلى .

ومدرسة السادات السياسية ، لا تميل الى انتهاج الاسلوب الفيتنامى وحربه الشعبية الطويلة الامد ، الذى كثيرا ما يحتج به فى مواجهتها . وذلك على أساس رؤيتها بأن الظروف — وخاصة الجغرافية — تختلف فى العالم العربى عنها فى فيتنام . فضلا عن ان اسرائيل كيان يختلف فى طبيعته وفى أسلوب التصدى له عن الكيان الفيتنامى الجنوبى .

وفوق هذا وذاك ، فان المدرسة السياسية للسادات تقدر ان عبء التضحيات المادية والبشرية للجيل العربى عامة وللجيل المصرى خاصة فى الصراع مع اسرائيل ، قد بلغ حدا يفوق طاقة الاحتمال ويهدد قضية التطور والامن الاجتماعى فى الصميم .

وفى كلمات لا ينقصها الوضوح ، صارح الرئيس السادات الشعب المصرى والامة العربية بقوله أكثر من مرة :

● ان الاقتصاد المصرى وصل الى حافة الصفر قبيل حرب أكتوبر .

● ان مصر بعد ان كانت من أغنى البلاد العربية ، صارت من أفقرها ، نتيجة استنزاف طاقتها فى الصدام المسلح مع اسرائيل .

□ ● □

هكذا يأتى فتح قناة السويس ، تجسيدا واضحا لمدرسة السادات السياسية فى معالجة الصراع العربى — الاسرائيلى بعد حرب أكتوبر ، وبمفهوم المهام المحددة للجيل العربى المعاصر .

فى مقابل هذه المدرسة الساداتية ، المحددة الابعاد والوسائل والاهداف والفعل ، لا يوجد — بعد — فى الوطن العربى مدرسة أخرى ، على مستوى الدول ، تطرح سياسة بديلة قادرة على الفعل والمبادرة .

هذه هى القضية .

لطفى الخولى